الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

ميلودي زهرة
طالبة دكتورالية
جامعة : عبد الحميد مهري قسنطينة

Abstract
Middle Morroco has seen a variety of business relationships with many of the Mediterranean countries, where the coastal commercial traffic was active and varied with cruises especially that Middle Morocco was known by its excellent geographical location that permit to deal largely with European countries.
Ships were transporting from one port to another laden with goods and commodities, despite the risks and difficulties encountered ,the commercial activity continues in a great way . The Jews were also known by their practice of the coastal trade with all its different kinds, as well as they have had a role in linking relations between Europeans and the people of Morocco.

مقدمة :

تمتع المغرب الأوسط بموقع جغرافي ممتاز مكنه من تحكم في عدة طرق تجارية أهما الطرق البحرية التي أتاحت له ربط علاقات عديدة ومختلفة ،مع مدن من شتى البقاع فالتعامل التجاري لم يقتصر على السلع والبضائع إنما وصل إلى علاقات اجتماعية وثقافية مختلفة تكونت عبرة عدة رحلات بحرية وقدوم أصناف مختلفة من طبقات المجتمع من تجار ومكتشفين .

فمهنة التجارة امتهنها عدد كبير من سكان حيث ساهموا في مد خزينة الدولة بنسبة هامة من الأموال وفئة اليهود من أبرز طبقات المجتمع التي كان لها اثر في التجارة سواء في المدن الداخلية أو المدن الساحلية فتواجد عنصر اليهود ببلاد المغرب الأوسط، يعود إلى العصور القديمة حتى أنه قد تم اعتناق الديانة اليهودية من طرف قبائل بربرية خاصة قبيلة جراوة الأوراسية وقبيلة مديونة وازداد عدد اليهود بالمغرب خلال الحكم الموحدي بسب الاضطهاد المسيحي في اسبانيا وكان من بينهم علماء وأطباء وحرفيون وتجار . وهناك عدة تساؤلات تتبادر إلى أذهاننا كيف تكون الرحلة البحرية في الساحل ؟ وكيف ساهم عنصر اليهود في هاته التجارة ؟ سنحاول في هذا البحث البسيط أن نتعرض لأبرز الخطوط البحرية التي تجمع المغرب الأوسط مع الأمصار التي وراء البحر ،زد على ذلك نعرض أهم سلع ورحلة السفن كما لا ننسى العراقيل التي تواجه السفينة أثناء رحلتها البحرية ذاكرين أهم عنصر في تجارة اليهود ودورهم فيها.

الخطوط البحرية وأهم الرحلات التجارية :يرتبط المغرب الأوسط مع غيره من البلدان التي يتعامل معها تجاريا عن طريق البحر عبر خطوط بحرية مختلفة وكان المغاربة ينقلون سلعهم عبر خط بحري يربط موانئ كل من القالة ،عنابة ،سكيكدة ،بجاية الجزائر ،شرشال تنس وهران هنين [1] وكان أصحاب السفن يمارسون التبادل التجاري عند وصولهم

إلى الموانئ وهناك إشارات حول إبحار السفن الإسلامية التجارية في البحر المتوسط تجاه البلدان والمدن الأوربية يقول **Dufourcq** " إن تجار إفريقيا الشمالية تاجروا مع البلدان الأوربية عبر البحر المتوسط على سفن أوربية من جنوة وقطلانيا وبلاد أخرى [2] وهذا لا ينفي امتلاك المسلمين لسفن تجارية يرحلون بها كغيرهم للممارسة التجارة ولأجل الإبحار لابد من وجود خطوط بحرية تربط المدن فيما بينها ففي القرن (6هـ)(12م) ظهرت خطوط بحرية تربط جنوب غرب أوربا او بالأحرى الجمهوريات الايطالية خصوصا جنوة والبندقية بموانئ المشرق والمغرب الإسلامي .

–خط جنوة مع المغرب الأوسط :يمر هذا الخط بهنين ثم مرسيليا وبرشلونة وخط البندقية بلاد المغرب الذي يمر بالإسكندرية [3] أما الطريق المباشر يكون بين المدن الايطالية ومدن المغرب الأوسط خاصة البندقية وهنين [4] وهناك طريق يتجه إما شرقا إلى جزيرة ميورقة * التي تقابل مباشرة بجاية أو جنوبا عن طريق مضيق جبل طارق،استفاد الجنويون بعد امتناعهم عن تصدي للمراكب المسلمين بامتيازات وعقود تجارية عقدها معهم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي تسمح للسفن الجنوية بحرية التجارة لرعاياهم براً وبحراً ،وصلت نسبة الاستثمار بين جنوة وبجاية 7/1 [5] وميناء جنوة يعتبر أهم موانئ وثاني موانئ ايطاليا وحتى يومنا هذا ،كان الايطاليون أو الجنويون يخرجون منه إلى جميع جهات الأرض براً وبحراً وقد امتلكوا أسطول مخيف على حسب الإدريسي [6].

–خط البندقية ببلاد المغرب الأوسط: تسمى فينيسيا أو البندقية التي تقع على ساحل الشمالي للبحر الادرياتيكي إذ يفصلها عنه خط من الكثبان الرملية كانت تُجعل ملجأ وملاذا من غارات قبائل هون[7]والبندقية شهدت تعاملات تجارية مختلفة مع مدن الساحل للمغرب الأوسط خصوصا بجاية تصدر إليها السلع وتستورد منها .وهناك خط آخر ينطلق من البندقية فيتوجه نحو الإسكندرية ثم يمر بالموانئ المغربية ويصل إلى مرية*بالأندلس وكانت السفن أثناء رحلتها طويلة تتوقف في موانئ طرابلس وتونس وبجاية ووهران وتقوم بعملية التبادل التجاري[8] .

–خط جنوب ايطاليا مع المغرب الأوسط:كان هناك طريق مباشر بين ايطاليا والمغرب الأوسط ،حيث كانت السفن تنتقل مباشرة عبر هذا طريق–بالخصوص بين البندقية وهنين [9]،السفن الإيطالية عند توجهها في بعض الأحيان مباشرة إلى موانئ المغرب الأوسط فهي تقطع مسافة بين سردانية وبين تنس[10]وبعد وصولها تنتقل إلى مازونة فمستغانم ثم إلى تلمسان[11] وكانت مدة الرحلة تقريبا حوالي عشرة أيام بين سردانية وتنس[12].

–خط بيزا مع المغرب الأوسط:تقع على البحر التيراني وتمر بهذه المدينة نهر أرنو وكانت المنفذ الرئيسي لسهل تسكانا[13] وكانت بيزا أكثر تعامل مع بجاية في المغرب الأوسط من جنوة والبندقية وكانت هناك اتفاقيات بين البلدين أهمها (582هـ–583هـ)(1186م–1187م) تنص على أن يكون للبزيين قنصل دائم يمثلها ويشرف على مصالحها ببجاية،واتفقوا على حفظ أموال الغرقى وإعطاء الدِيات لأهل الموتى[14] .

–خط فرنسا مع المغرب الأوسط:كانت هناك علاقة تجارية تجمع فرنسا بالمغرب الأوسط ،حيث كان تجار الفرنسيون يترددون عليها طوال القرنين: 7–8هـ/13–14م[15] ،وتعامل أهل بجاية مع مدينة مرسيليا بسبب الموقع الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وقرب المسافة بينهما ففي السنة (608هـ/1211م) نالت فرنسا حق ارساء سفنها بمرسى بجاية وليس هذا فقط كذلك تخفيض نسبة الرسوم الجمركية مابين 5و8% خلال القرنين 6هـ–8هـ/12م13م[16] .

خط فلورنسيا ببلاد المغرب الأوسط:كانت تخرج سنويا سفينتان من ميناء فلورنسيا (بورتوبيزانز) إلى السواحل الشمالية لبلاد المغرب مروراً بجنوة ثم على توالي إلى موانئ: تونس وعنابة والقل وبجاية ،وتواصل طريقها نحو غرب موانئ المغرب الأوسط وهران وهنين الى غاية المغرب الأقصى[17] .

–خط برشلونة ببلاد المغرب الأوسط:كان هناك خط يربط برشلونة ببلنسية ثم جزيرة ميورقة ملتقى خطوط الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ومن هناك يتجه شمالا إلى مدن جنوب فرنسا أو جنوبا إلى موانئ المغرب ،كانت سفن المسحيين تستطيع وبكل حرية الإرساء في موانئ بلاد المغرب وهكذا يتزود التجار بكل ما أراود من المواد الغذائية ومتطلبات أخرى ،حتى أنه يمكن لهم الاحتماء بالموانئ ساعة وجود عاصفة[18].

أهم السلع والبضائع المنقولة عبر السفن :تنوعت السلع والبضائع التي كانت تحمل على السفن وتنقل من المغرب الأوسط نحو المدن المجاورة أو العكس فكانت تجارة الزيت لها أهمية كبيرة وعمليات التصدير كانت تنطلق من جزيرة ميورقة الى البلدان المغربية [19]وليس الزيت فقط فكان العسل من ضمن صادرات بلاد المغرب [20]فرغم تقلص المساحة المخصصة لزراعة الزيتون إلا انه كان يصدر ،فكان لتر من الزيت يباع بثمانية ريالات ميورقية بينما كانت تباع الجرة التي تحتوي على قرابة الخمسين لتر بدينار من الذهب في مدينة بجاية [21]وهناك وثائق أوربية تطلعنا بعض الإشارات الموجودة فيها حول الصوف والجلود وأسعارها،خصوصا النسيج لان المغاربة من ضمن اهتماماتهم تربية المواشي[22] وهذا ما جعل المغرب كافة يحتوي على كمية كبيرة من الصوف والجلود التي لعبت دورا بارزا في التجارة الخارجية[23]، أما الأسعار فلم تكن ثابتة بل كانت تتغير على حسب الجودة والتباين في عملية العرض والطلب وتباين الضرائب المفروض على السلع قد لعب دورا بارزا فالفاتورة المشهورة : التي يطلق عليها : **florentin pegolotti** تخبرنا أن مئة من جلد البقر قد صدرت من مدينة أصيلة إلى جزيرة ميورقة بمخالصة (قسيمة إيصال) وكانت ضرائب المفروضة عليها ثلاثة دنانير من ذهب [24] وليس هذا فقط فمنتوج الحبوب وانتشار زراعته على طول الشريط الساحلي الأطلسي والمتوسطي كان عنصر مهم وأكثر طلبا في المبادلات التجارية الخارجية ،كانت أوربا من المناطق التي توَجه لها حبوب المغربية التي تباع في ايطاليا برشلونه [25] وتعتبر وهران منفذا رئيسيا لحبوب المغرب الأوسط نحو أوربا[26] وهناك محاصيل متنوعة أخرى كالقطن ،السكر،الكتان،الشمع والمعادن كالحديد والفضة والبرونز ،القطران والزئبق والنحاس الذي كان يستخرج من جبال كتامة [27] أما الفواكه فكانت جافة كالزبيب والتين وسائر الفواكه[28] وبعض الوثائق تذكر أن جنوة في السنوات الأخيرة قد باعت الصوف والشب الوارد من بجاية [29] وتذكر لنا كتيبات ممارسة التجارة تخبرنا أن دليل التاجر البيزي لعام 1278م أن ميجلياليو(**Migliaio**) من الزيت اليوبي الصافي يساوي ستة عشر جرة تونسية وبجائية كما استوردت بجاية كميات متنوعة من المواد الغذائية ودليل التجار يشير إلى المتاجرة بالجوز والبندق والقسطل وهذا ماتؤكده العقود التجارية [30] أما الوردات فكان أبرزها التوابل والعطور فبلاد المغرب كانت تستورد التوابل من مختلف المراكز التجارية التي تتعامل معها .الفلفل كان من الشرق الأقصى[31] القرنفل[32] القرفة والطيب والكافور [33] الزنجبيل[34] كما شاع استعمال الزعفران المجلوب من جنوة لجودته العالية[35] إضافة إلى الأقمشة والمنسوجات الأوربية ،بجاية استوردت في بعض حالات المنتجات المصنعة خصوصا الألبسة ففي 1203م نجد من بين السلع المرهونة من أجل تبادل بحري سبعة ستائر حريرية مذهبة ،وأيضا في 1216م أخذ جندولفودي فورنو (**di Forno Gandalfo**) طلبية من 17 قميصا رومانيا (***zupis de***

romania) إلى سبتة ثم بجاية ،وأخرى في 1238م جفوريو بليكاريو(Gaforio pellicario) أخذ طلبية 5ليفير من سراويل التحتية (*bragis*) وأقمصة (*camisiis*) وخيوط.

منسوجات مستوردة من جنوة (1164م/1282م):

التاريخ	المواد(القيم)	طبيعة الوثيقة	المصدر
1164/06/30	القنب(441)canabacius	طلبية	Giovanni Scriba,n°1230
1192/03/13	لفيفان من الفيتان المصبوغ(3°28)	رهن صرف	Guglielmo Cassinese n°1762
1192/03/21	لفيفان من الفيتان المصبوغ(1°38)	رهن صرف	Lbid.n°1774
1192/04/02	أقمشة من نوع سي(saies)	طلبية	Lbid.n°1834
1192/04/02	1لفيف فيتان ملون 1لفيف أبيض(1°36)	رهن صرف	Lbid.n°1836
1200	1جوخ شالوني 1قرمزي (1/2س1.16°4)	طلبية	Giovanni di Guiberto,n°94 ,98
1201/08/03	قماش	كراء بحري	Lbid.n°348
1201/08/30	قطعتان من قماش قرمزي قطعة من قماش أخضر 8خيوط beveris(501)	طلبية	Lbid.n°511
1201/08/31	3ئف من القماش الألماني بمعنى630 قصبة و45قطعة(105°1.10س)	تموين محول إلى طلبية	Lbid.n°522
1203/10/25	قماش	طلبية	Lbid.n°952
1203/11/13	7ستائر حريرية مذهبة 4قطع من بندنيلس الرانسي	رهن صرف	Lbid.n°1017
1205/09/05	لفائف من قماش قرميزي (1°20)	رهن صرف	Lbid.n°1098 9/5/1205

أسعار الصوف البجائي في السوق الجنوي(النصف الثاني من القرن الثالث عشر)[36]:

المصدر	التاريخ	الكمية بالقنطار والرتولي	المبالغ بالليفر الجنوي	سعر القنطار
ASG,min.105 ,f.66v-67r	1259/01/27	35 ق و 67	178 1.7s.1 d.	5 1.
Id.,f.91v	1259/02/28	23 ق	111 1.10s	4 1.16 s
ASG,min.62,f.138v	1268/10/27	34 ق و 99 ر	168 1.	4 1.16 s
ASG,min.82,f.294v	1274/09/13	11 ق	44 1.	4 1.
Id.	1274/09/13	15 ق	60 1.	4 1.

5 1.6 s	152 1.1 s.10 d	28 ق و 97 ر	1284/05/26	ASG,min.73,f.152v-153r.
5 1.6 s	19 1.5 s.8 d.	3 ق و 64 ر	1288/06/09	Id.,f.198r
4 1.8 s.	240 1.10 s.9 d.	54 ق و 62 ر	1288/03/02	ASG,min.120/II,F.91V
4 1.9 s.	191 1.8 s.	43 ق و 6 ر	1288/03	Id.,f.92r
4 1.5 s.	596 1.2 s.11 d	140 ق و 27 ر	1293/09/24	ASG,min.109,f.213v

رحلة السفن المغربية: كانت الرحلة في البحر الأبيض المتوسط ترتبط بالدرجة الأولى بالظروف المناخية، إذ تتحكم فيها الرياح واتجاهاتها فمثلا السفن الايطالية كانت تقوم برحلة مرة في السنة فتقلع في الربيع متجهة إلى موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط ثم الحوض الغربي لتعود بعدها إلى ايطاليا في فصل الخريف ،أو العكس تبحر في الخريف لتعود في الربيع[37] فقبل وجود البوصلة التي يستعان بها لإرشادهم كان، حيث كان البحارة يهتدون في البحر بالنجوم فهم يعرفون موقعها والإرشادات بينهم كانت شفوية [38] ومع مرور الوقت وتطور أصبح البحار يستعملون الخرائط [39] والبوصلة[40] والسفن غالبا في رحلتها تلجأ إلى المساحلة أي تحادي ساحل ابتعادا عن تيه وضياع وسط البحر وعندما تكون ضرورة كرحلة بين جزيرة ميورقة والسواحل المغرب الأوسط ،فالسفينة تنتقل في خطوط الموازية لخطوط الطول حتى تساعدها الرياح على السير [41] فالرحلة السفينة لم تكن محدود الزمن فهي تخضع في الغالب لظروف المناخية خاصة الرياح والانقلابات الجوية وحالة البحر[42].

ملكية السفن: كانت صناعة السفن في العهد الموحدي منتشرة على طول الشريط الساحلي ،وهذا ما ساعد على ازدهار أسطول حيث كانت دور الصناعة في افريقية (تونس) والمهدية ودور الصناعة في المغرب الأوسط (الجزائر) بونة (عنابة) [43] بجاية [44] ووهران وهنين ،اهتم الموحدون بصناعة السفن والقوارب التي كانت تستعمل للسفر أو الحرب، يذكر لنا ابن خلدون عن صناعة السفن وشكلها الذي يجب أن تكون عليه وكذلك بقوله وقد تحتاج هذه الصناعة (الخشب) في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسر (المسامير) وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله (ما يجذف به) وليكون ذلك شكل أعوان لها في مصادمه الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح وربما أعينت بحركة المجاذيف كما في الأساطيل [45] وملكية السفن كانت في غالبها جماعية نادرا ما كان الفرد الواحد يملك سفينة كاملة وهذا بسبب ارتفاع ثمنها وكان امتلاك السفن أحياننا يشترك فيه مسلمون والمسحيون [46] ونظرا لغلاء السفن كان التجار يستأجرونها فيدفعون مبلغا لملاكها ثمن العبور (الرحلة) وبعد وصول هؤلاء التجار إلى الميناء المقصود تحمل السفينة تاجرا آخر للعودة أو تواصل طريقها إلى ميناء آخر كما كان يمكن تأجير كل جزء من السفينة على حدى [47] وهته العملية امتاز بها جنويون والقطلانيون لأنها كانت تدر أمولا طائلة على أصحابها ففي سنة 1316هـ أُجِّرت سفينة من وهران إلى ميورقة بمبلغ قدره سبعمائة دينار [48] ونتيجة لطلبات التجار والحجاج المغاربة المتزايدة على الرحلات البحرية لجأوا إلى اكتراء السفن[49] من الأوربيون القطلانين[50] والجنويين[51] ومرات يستغلون مراكب التجار الإسكندرية في الانتقال عبر مختلف الموانئ تاجرا أو حجاج أو مسافرين[52] أما عن تنظيم النقل لإبحار السفينة كانت هناك قوانين وترتيبات لتنظيم العلاقة

بين أصحاب السفن والتجار كانت السفينة تبحر على شكل أساطيل والأسطول يتكون من سفينتين على الأقل ترافقهما سفن حربية لتوفير الحماية وصد هجمات القراصنة[53] وكانت بعض السفن تمنع نقل الحيوانات[54] .

نظام الجمركة: قبل ذهاب التجار إلى فنادقهم وبعد إفراغ بضائعهم وسلعهم من المراكب يتوقفون في منطقة الجمرك حيث يتم عملية الإجراءات الجمركية على السلع والبضائع التي غالبا ما كان يتم الإعلان عن بيعها بالمزاد العلني في أماكن وصولها[55] تحصيل الرسوم المفروضة على المعاملات المالية لصالح بيت المال السلطاني وهو بذلك ممثل مصالح بيت المال[56] والجمرك هو عبارة عن مكتب تجاري لدولة توجد به مجموعة من المنظمين التجاريين لدخول السلع التجارية ومقدار ما عليها من ضرائب ومن المعروف أنه في أغلب البلدان الإسلامية كانت ضريبة الديوان المفروضة على التجار الأجانب هي 10% إلا أن على أرض المغرب الإسلامي كانت ضريبة متغيرة وليست ثابتة حيث خفضت في كثير من الفترات إلى 8%[57] والنصوص العربية لاتصف تنظيم ديوان البحر إضافة إلى أن وظائف مختلف ممثلي الديوان وأيضا الرسوم المفروضة على التجار ليست دائما واضحة هناك عدة كلمات ذات أصول عربية لكن أحيانا مع نوع من الانزلاق الملحوظ للمعاني التي يجب الاحتراز منها ومن جهة ثانية يمكن لعدة أسماء أن تشير إلى نفس الواقع من بلد إلى آخر [58] كما يتوجب على تجار الأجانب تسديد ما عليهم من حقوق للجمرك كما كان عليهم أيضا دفع رسوم قليلة إلى مجموعة السماسرة والحمالين والمترجمين الموجودين بجوار مكتب الجمرك وذلك قبل ذهاب إلى فنادقهم، وفي حالة رفض الدفع يتعرض التاجر لضرب لأنهم رفضوا الدفع وتسديد حقوق الجمرك [59] وفي حالة عدم البيع تخزن السلع في المخزن الجمرك ورسوم التخزين كانت ثابتة تتغير في حالة إذ كانت البضائع كثيرة ولا يستوعبها المخزن[60] وليس هذا فقط فكذلك السلع كانت تتعرض لتفتيش ،فالاتفاق المبرم في 1314م بين ملك الأراجون والسلطان البجائي أبي بكر منع في الواقع كل رجل من عمال القبالة مسيحيا كان أو مسلما من الصعود على متن السفن للتفتيش [61] وكان يساعد صاحب الديوان مفتشون ويسجل الديوان كميات السلع التي يأتي بها التجار المسحيين على كتاب حسابات [62] واشتغلت كتائب المشاة الحاملين لنقل السلع من الرصيف إلى الديوان ،ومن هنا إلى فنادق التجار أو الاسواق[63].

العراقيل والصعوبات التي تواجه الرحلات البحرية: كانت الملاحة البحرية آنذاك عرضة للأخطار من عواصف بحرية والقرصنة[64] .

*الصعوبات الطبعية: أغلب المراكب التي تستغل في النقل التجاري كانت شراعية أي تعتمد في حركتها بالدرجة الأولى على قوة الرياح مما يجعلها لا تتحكم في حركتها فتأخذها الرياح إلى الموانئ [65] كما أن هدوء الرياح زد عليه ثقل المراكب بسبب الحمولة يؤدي إلى بط السير [66].وقد تؤدي العواصف في بعض الأحيان إلى دخول الماء وفساد السلع خصوصا السلع سريعة التلف وقد يضطر ربان السفينة في حالة اشتداد العاصفة إلى رمي جزء من البضائع[67] أما العامل البشري فهو:

*القرصنة: انتشرت ظاهرة القرصنة في الحوض البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الوسيط أو كما تسمى عند المسلمين بالجهاد البحري[68] ازدهرت هته العملية مع القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي ولم تكن أعمال القراصنة تقتصر على البحر بل كانوا يتحينون الفرص فينزلون السواحل ويقطعون الطرق ويخطفون الناس، وفي بعض الأحيان كان يضطر التجار إلى دفع ضريبة حتى تحميهم وتحمي سلعهم السلطات كما فعل تلمسانيون لسلطات

الأرغوانية[69] وقد كانت أعمال القرصنة تسبب في بعض الأحيان إلى حدوث اصطدامات مسلحة في البحر بين مسلمين والمسحيين ولمحابرة هته الظاهرة كانت تعقد اتفاقيات أو معاهدات مثل معاهدة افريقية البندقية 629هـ/1231م[70] .

دور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية: منذ القدم واليهود يعيشون بالمغرب الأوسط خصوصا بعدما اضطهدهم الاسبان وكانوا يشتغلون منذ العصور الوسطى المبكرة بالتجارة الخارجية إلى جانب الحرف اليدوية وكان بعضهم ينشط في التجارة البرية فينتقلون مع القوافل بين المدن المغربية والمشرقية[71] وكما كانوا ينتقلون بين المدن الأوربية وخاصة ميورقة وبرشلونة وبين مدن المغرب الأوسط لممارسة عملية التبادل التجاري بواسطة السفن كانوا يؤجرونها كما كانوا يقومون بدور الوساطة بين تجار تلمسان وتجار أراغون [72] ومن أهم الأعمال التي عرف بها اليهود تجارة الذهب المستخرج من بلاد السودان وتأتي المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن في قائمة البضائع التي يعمل على تصديرها اليهود من المغرب وكذلك أصناف السجاد والحرير بجميع أنواعه وأشكاله كما صدر التجار اليهود المعادن الثمينة كالفضة ومعادن أخرى مثل الرصاص الزئبق[73] وتاجر اليهود بالأسلحة والتوابل والحرير والعبيد[74] ساهم اليهود في تنشيط حركة المبادلات التجارية مع الممالك المسحية الأوربية والأندلس والمشرق الإسلامي كما أنهم يتقنون عدة لغات كالعربية والفارسية والإفرنجية والرومية والأندلسية والصقلية [75] ومما يدل على أهمية وجودهم ووساطتهم بين الطرفين إقرار معاهدة 762هـ/1360م بين تونس وأرغون التي أقرت سلامتهم وتأمين تجارتهم وتعدى دور اليهود بلاد المغرب والبلاد الأوربية حيث شمل كلا من مصر وبلاد الهند والسند والصين واستعملوا وكلاء لهم في كافة المدن التجارية[76] ويضاف إلى ذلك أنهم كونوا شركات تجارية لها وكلاء في الموانئ والأسواق الجنوبية وموانئ دول الأوربية وقد كانت هناك علاقات تجارية بين اليهود بالأسواق التجارية الواقعة بطرق القوافل وأبناء عمومتهم بميورقة وكان الاتصال يتم بواسطة موانئ الدولة الزيانية مثل الجزائر وتنس ووهران ودليل على ذلك وثيقة ميورقية مؤرخة في السنة 728هـ/1327م الخاصة بدور الجالية اليهودية فأهم ما ورد فيها "أبلغت المجموعة اليهودية وجزيرة ميورقة الأمير فيليب (Prince Phillipe) الوصي على العرش بالمملكة أن قنصل الميورقين بتلمسان قد أمر جميع تجار ميورقة الموجودين في دولة السلطان أبي تاشفين الأول 718هـ/737هـ/1318م/1337م غير أن هؤلاء التجار يذكرون أن هذا الأمير قد أعطى أوامر بمبارحة أراضي الدولة منذ شهر ونصف وقد قرب الأجل قبل نهايته. وتذكر الوثيقة أيضا أن يهود ميورقة يسلمون إلى تجار الدولة الزيانية [77] ومن خلال كل هذا يتبين لنا أن اليهود شكلوا قوة بحرية كبيرة في بلاد المغرب وربما هذا يعود لعدة عوامل ساعدتهم ابرزها اتقانهم لعدة لغات .

خاتمة:

من خلال ما أشرنا إليه في هته الدراسة البسيطة تبين لنا أن المغرب الأوسط شهد علاقات تجارية جما على مستوى الشريط الساحلي ومع أمصار عديدة ،وقد ألقينا بعض الإشارات على دول أوربية كمدن جنوب ايطاليا وفرنسا ذاكرين بشكل مختصر أبرز الخطوط التي جمعت مدن ساحل معهم إضافة إلى تنوع البضائع والسلع التي كانت تنقل في السفن عبر البحر وكما لاحظنا أن المغرب الأوسط لم يكن يستورد فقط بل كانت هناك واردات ،وحتى السلع

مستوردة لم تكن من دول أوربية فقط فهناك ما هو مجلوب من الهند والسند وغيرها وهذا يبرز لنا أن حركة التجارة في مدن الساحل كانت نشطة ومزدهرة وهذا يعود لاستقرار الدولة وأمنها.

كما أن عنصر اليهود لعب دوراً بارزا في مبادلات التجارية الساحلية وحتى داخلية على مستوى الصحراء لكن نحن ركزنا على ساحل فقط وكيف كان تجار اليهود نشطون في تجارة وربط العلاقات بين تجار أجانب وتجار مغاربة وهذا ما كان بين تلمسانيون وميورقيون كمثال فعنصر اليهود لعب دورا لا يستهان به في التجارة ليس مع المغرب الأوسط بل مع العديد من الدول .

الهوامش:

1– الإدريسي أبو عبد الله (ت 560 هـ/1166م)،المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس،مأخوذ من نزهة المشتاق واختراق الأفاق،مطبع بريل،1863،مدينة ليدن،ص56.

2-Dufourcq.(C.h)E.:-Commerce du Maghreb medievale avec L'Euroup chretiennet marine marine musulmane,donne connues et problemes ensuspens. Centre d'etude et de recherches economiques et sociales,tunis,cahier serie histoire No.1.p.117.

3– المراكشي عبد الواحد(ت 647 هـ / 1249 م)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب (تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي)، مطبع الاستقامة،1368هـ،القاهرة،الطبعة1، ص286.

4– الوزان الحسن بن محمد الفاسي(ت 956 هـ)وصف إفريقيا،(ترجمة محمد حجي،و محمد الأخضري)،دار الغرب الإسلامي،1983،بيروت،لبنان، ج2،ص15.

*ميورقة :جزيرة في البحر المتوسط تقع في قابلتها مدينة بجاية من بر العدوة المغربية ومن الجوف مدينة برشلونة ،وتقع في شرقها إحدى جزيرتيها منرقة بينهما نحو أربيعين ميلا،كما تقع في شرقها أيضا جزيرة سردانية وفي غربيها جزيرة يابسة.ويطلق على جزيرة ميورقة ومنورقة ويابسة جزر البليار انظر : الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق د.إحسان عباس لبنان ،1948،بيروت،ص،ص567،568.

5– عز الدين احمد موسى،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ،دار الشروق،1983م،بيروت،القاهرة،ص277.

6– الإدريسي،مصدر سابق ،ص749.

7– جودة حسين جودة،جغرافية أوربا الإقليمية،دار النهضة العربية 1980،بيروت،ص579.

*مرية : اسم مشتق من وضيفتها أو من الغرض الذي أقيمت من اجله ،إذ كانت تتخذ في الأصل مرأى أو محرس أنظر : الحميري ،عبد المنعم السبتي،روض المعطار في أخبار الأقطار،نشر وترجمة لفي بروفنسال،1937،القاهرة ،ص183.

8– لبشاري لطيفة ،التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر هجريين(16/13م)،رسالة ماجستير،1986م/1987م،جامعة الجزائر ،ص108.

9–حسن الوزان،مصدر سابق،ص15.

10–لبشاري لطيفة،مرجع سابق،ص108.

11–ابن بطوطة ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي،(ت 779هـ)تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، مؤسسة الحسني،2006 ،الدار البيضاء المغرب، ص756.

12–لبشاري لطيفة ،مرجع سابق،ص108.

13–إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع ايطاليا وشبه جزيرة الايبرية في عهد الدولة الزيانية ،رسالة ماجيستر،2006م/2007م،جامعة تلمسان،ص78.

14–بوتشيش أمينة،بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس و السابع هجريين ،رسالة ماجيستر ،2007م/2008م،جامعة تلمسان ،ص52.

15– بوعمران سامية ،الجزائر الوسطية في مصادر الأجنبية سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ،تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 2007م،ص318.

16– بوتشيش أمينة ،مرجع سابق،ص53.

17– لبشاري لطيفة ،مرجع سابق ،ص190.

18– لبشاري لطيفة ،مرجع نفسه ،ص190.

19– جمال أحمد طه،دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الغرب الإسلامي،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،2008،الإسكندرية،ص64.

20-Ernest mercier :histoire de l'afrique septentrionale (berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), par tome second paris, ernest leroux, éditeur 28 rue bonaparte, 1868,p384.

21-Lbid.p491.

22–بشار قويدر، القوافل التجارية المغربية(طبيعة التجارةوآثارها)،مجلة طريق القوافل ،منشورات المركز الوطني للبحث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ بالتعاون مع للجنة الوطنية لليونسكو 2001،الجزائر ،ص14.

23- Dhina atallah: les états de l'occident musulman aux 13,14 et 15 siècles institutions, gouvernementales et administratives, office des publications universitaires, alger ,p343.

24– جمال أحمد طه،مرجع سابق،ص65.

25-Atallah dhina: op cit, p333 .

26- Atallah dhina: op cit, p338

27– بوتشيش أمينة ،مرجع سابق،ص54.

28– الإدريسي،مصدر سابق،ص260.

29– دومنيك فاليرين ،بجاية ميناء مغاربي،ترجمة د.علاوة عمارة،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ،2014،الجزائر ،ج2،ص808

30– دومنيك فاليرين،مرجع سابق،ص ص 474،473.

31– ابن بطوطة ،مصدر سابق، ص559.

32– يقول ابن بطوطة عن القرنفل" وأما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة ،وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الإسلام، وليست بمتملكّه لكثرتها، والمجلوب إلى بلادنا منها هو العيدان والذي يسميه أهل بلادنا نُوَّار القرنفل هو الذي يسقط من زهرة، انظر: المصدر السابق، ص622.

33 –Atallah dhina : Op cit,p365.

أشجار الكافور تشبه القصب الموجود ببلاد المغرب ،انظر ابن بطوطة، مصدر سابق، ص622.

34– روبار برتشفيك ،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن13الى نهاية القرن 15 ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ،(1988)،بيروت، ج2 ، ص270.

35– ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، ت737هـ/1336م)،المدخل، دار التراث،د ت، القاهرة ،مصر، ج4، ص 76.

36– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص 431.جدول منسوجات مستوردة من جنوة(1282/1164)،ص439.جدول أسعار الصوف البجائي في السوق الجنوي (النصف الثاني من القرن الثالث عشر)،ص 506.

37– عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين امشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق،1400هـ/1980م، ص ص 58.59.

38– باشا نجاة، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثامن الهجري، تونس،1976م،ص100.

39– عرف الايطاليون البوصلة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، إلا أنهم لم يستعملوها في البحر الأبيض المتوسط إلا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ميلادي أنظر:عادل زيتون، مرجع سابق،ص60.

40– حددت الخرائط البحرية حركة رياح واتجاهاتها في بداية القرن الرابع عشر ميلادي(عادل زيتون، مرجع سابق،ص60) (Dufoureq,op.cit.p.46)

41- Dufoureq,op.cit.p.45

42- Dufoureq,op.cit.p.46

43– ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (ت 741 هـ / 1340 م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس،صور للطباعة و الوراقة،1972، الرباط،ص 206، السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1،دار الكتاب ،،1997،الدار البيضاء، الطبعة1،ص 138.

44– مؤلف مجهول (عاش خلال القرن 6 هـ /12 م)كتاب الاستبصار، تعليق سعد زغلول، مطبعة الجامعة ،1958،الإسكندرية،ص 158.

45– ابن خلدون عبد الرحمن(ت808 هـ)،المقدمة، الطبعة5،دار القلم،بيرون،1984،ص95.

46–مقتل هلال القطلاني الوزير التلمساني الذي يملك جزءا من سفينة ميورقية سنة1331م(Dufoureq,op.cit.p.57)

47– Dufoureq,op.cit,pp.55.56.

48–في سنة 1403 انتقلت جماعة من بجاية إلى الجزائر، في سفينة شراعية من برشلونة، وفي سنة1466 انتقلت جماعة من تجار تلمسان ووهران إلى المشرق الإسلامي على متن سفينة جنوية Heers (J.), Genes au XV siècle, Paris, 1971, p. 322; Brunschvig, Deux récits de voyage, p.p. 135-136; Dhina, Les Etats de L'Occident Musulman, p. 359; Lespes, Oran ville et port, Revue Africaine, 1934, p.p.287 – 289

49– المازري(أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي ت 536هـ/1141م) فتاوى المازري،تحقيق طاهر المعموري، الدار التونسية للنشر،1994،تونس،ص 230.

50– ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 656.

51–ابن جبير،الرحلة، دار صادر، د ت، بيروت، ص 310.

52– عبد الرحمن ابن خلدون ،رحلة ابن خلدون،تحقيق محمد بن تاويت الطنجي،دار الكتب العلمية،2004،بيروت، الطبعة1،ص 199.

53– عادل الزيتون، مرجع سابق، ص 58.

54– عادل الزيتون، مرجع نفسه، ص 60.

55- Dufoureq(C.E) :op.cit.p117.

56– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص 322.

57– جمال أحمد طه،مرجع سابق،ص33.

58– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص ص323.324.

59– جمال أحمد طه،مرجع سابق،ص33.

60- Dufoureq(C.E) :op.cit.p117.

61– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص 329.

62– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص 330.

63– دومنيك فاليرين،مرجع سابق، ج1،ص 332.

64– عادل زيتون، مرجع سابق، ص58.

65– الونشريسي أبو العباس أحمد بن بحي(ت 914 هـ / 1508 م) المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب،إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي،نشر وزارة الأوقاف و الشؤون،1981، للمملكة المغربية، ج8،ص308.

66– ابن خليل(عبد الباسط ت 920هـ/1514م)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، منشورات معهد التاريخ العلوم العربية الإسلامية ،في إطار جامعة فرانكفورت، 1414هـ/1994م ،جمهورية الألمانية الاتحادية،ص67.

67– الونشريسي، مصدر سابق، ص ص 308.310.

68– روبار برتشفيك، مرجع سابق،ج1،ص227.

69–Dufoureq.op.cit ,pp348.

70–البراز محمد الأمين:حول نقل البحرية المسحية لحجاج الغرب الإسلامي تأملات في رحلة ابن جبير،ضمن ندوة:الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى،تنسيق محمد حمام،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية،1995م ،الرباط،ص ص 87.88.

71– لطيفة لبشاري، مرجع سابق، ص114.

72– Dufoureq.op.cit,p369.

73– مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة موحدين ،رسالة ماجيستر ،1990م/1991م،جامعة الجزائر، ص142.

74– نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب(أواخر العصور الوسطى) القاهرة، ص308.

75– بلهواري فاطمة،التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن،2010م،الرباط،ص 56.

76– الماحي علي حامد، المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني، دار النشر المغربية،1986، الدار البيضاء،ص ص 123.125.

77– حساني مختار،الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للدولة الزيانية (633هـ.962هـ/1235م.1554م)،رسالة دكتوراه،1985/1986،جامعة الجزائر،ص 84.